العلاقات السوفيتية– العراقية بين عامي 1945و 1991

إعداد الطالبة: **إشراف:** **المشرف المشارك:**

رهف الطير* **أ. د.م. حكمات العبد الرحمن** **د. رامي الضللي**

الملخص

تقدم العلاقات العراقية– السوفييتية نموذجاً لتنافس القوتين العظميين خلال الحرب الباردة. فمن خلال عرض تلك العلاقات يتبين العوامل التي ساهمت في التقارب السوفييتي– العراقي وتبحث في الأسباب التي جعلت الاتحاد السوفييتي يسعى لضم العراق إلى قائمة حلفائه في المعسكر الاشتراكي من خلال إبعاده عن المعسكر الرأسمالي الذي انضمت إليه العراق بعد الحرب العالمية الثانية وحتى قيام ثورة 23 تموز 1958 التي ألغت النظام الملكي الموالي لبريطانيا وحليفه الأمريكي، وإقامة نظام جديد تميز بالتقارب مع الاتحاد السوفييتي.

مرت العلاقات السوفيتية– العراقية بثلاث مراحل رئيسة، اتخذت الأولى منها طابع الفتور والحذر، فيما تميزت الثانية منها بالتقارب والصداقة، وعادت الثالثة لتتخذ طابع الفتور وتصل إلى نهايتها مع دخول عام 1991أي تفكك الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة.

الكلمات المفتاحية: القوتين العظميين، الاتحاد السوفييتي، العراق.

* طالبة دكتوراه– قسم التاريخ– اختصاص تاريخ حديث ومعاصر– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق.

Summary

Iraqi-Soviet relations provide a model for the two superpower rivalries during the Cold War. Through the presentation of these relations, it shows the factors that contributed to the Soviet-Iraqi rapprochement and examines the reasons that made the Soviet Union seek to include Iraq in the list of its allies in the socialist camp in keeping it away from the capitalist camp that Iraq joined after World War II and until the revolution of July 23, 1958, The latter led to the abolition of the pro-British monarchy and its American ally, and the establishment of a new regime marked by rapprochement with the Soviet Union.

The Soviet-Iraqi relations passed through three main stages, the first of which took the character of apathy and caution, while the second of them was characterized by rapprochement and friendship, and the third returned to take the character of apathy and reached its end with the entry of 1991, i.e. the dissolution of the Soviet Union and the end of the Cold War.

Keywords: the two superpowers, the Soviet Union, Iraq.

أولاً: العواملُ المؤثرة في العلاقات العراقيّة –السّوفيتيّة

1– أهميةُ العراق الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة

2– التَّنافس السّوفييتيّ– الأمريكي

3– تطورات العراق الداخلية

ثانياً: مراحل تطور العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بين عامي 1945– 1991.

1– العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بين عامي 1945 و 1958

أ– الموقف السوفيتي من حلف بغداد عام 1955.

2– العلاقات السّوفييتيّة– العراقيّة بين عامي 1958 و 1980

أ– العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بعد قيام ثورة 14 تموز 1958

ب– اتفاقية الصَّداقة والتعاون السّوفييتيّة– العراقيّة عام 1972.

3– المواقف السّوفييتيّة من حربي الخليج الأولى والثانية (1980–1991)

أ– الموقف السّوفييتيّ خلال حرب الخليج الأولى (1980–1988)

ب– الموقف السّوفييتيّ من حرب الخليج الثانية (1990–1991)

المقدّمة:

أدى الخلافُ الأيدلوجي وصراعُ المصالحِ بين الاتحاد السّوفييتيّ والولايات المتحدة الأمريكية إلى تحول حلفي الحرب العالمية الثانية إلى عدوين يريد كلٌّ منهما تحقيق مصالحَه على حساب الآخر، الأمرُ الذي آذن بظهور ما عُرف باسم الحرب الباردة التي ألقت بظلالها على جميع دول العالم بما فيها المنطقة العربية بين العامين 1945 و1991.

سعت كلٌّ من القوتين العظميين إلى جذب دول العالم إليهما، واستخدمت في ذلك دبلوماسيةُ توثيقِ العلاقات وتشكيل الأحلاف وتقديم المساعدات العسكرية الاقتصاديَّة؛ وذلك بهدف استغلال تلك الدول لتحقيق مصالحهما. وبسبب أهمية العراق الاستراتيجية والاقتصادية فقد مثل أحد أهم مناطق بين القوتين العظميين اللتين سعتا إلى جذبه وضَمِّه إلى معسكرها، ويعود السّبب في ذلك إلى أهميته الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة، إذ يُعدّ البوابةَ الشرقية للوطن العربي، وصلةَ الوصل بين آسيا الوسطى والمنطقة العربية، ويُطلُّ على الخليج العربي، ويمتلك قوةً اقتصادية تزايدت أهميتها بعد اكتشاف النفط.

دراسة العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة تقدم صورةً واضحةً عن الصراع السّوفييتيّ– الأمريكي، إذ تلقي الضوء على دوافع الاتحاد السوفيتي لإقامة تلك العلاقات، والفوائد التي جناها الطرفان من توثيق علاقاتهما، وتبحث في الأسباب التي أدَّت إلى توثيق تلك العلاقات أو فتورها ، وتبين دور التطورات الداخلية للعراق في فوز الاتحاد السّوفييتيّ أو خسارته صداقة بغداد، وخاصة أن العلاقات السّوفييتيّة– العراقيّة لم تسر على وتيرةٍ واحدةٍ بل مرت بثلاث مراحل رئيسة، تمثّل الأولى منها مرحلة شك وحذرٍ متبادلٍ وتمتد بين العامين 1945– 1958، وتمثل المرحلة الثانية مرحلة ازدهار وتوثيق العلاقات وصلت إلى حد توقيع الطرفين معاهدة التعاون والصَّداقة في العام 1972 وتمتد بين عامي 1958 –1980، في حين تمثل المرحلة الثالثة التي تمتد بين العامين 1980 – 1991بداية نهاية العلاقات العراقيّة– السّوفيتيّة، حيث تميزت بالفتور وفقدان ثقة العراق بحليفه السّوفييتيّ خلال حرب الخليج الأولى (22 أيلول 1980–20آب 1988) وحرب الخليج الثانية (2 آب 1990 –28 شباط 1991).

أولاً: أهمية البحث:

تتمثل أهميةُ البحث في متابعة تطور العلاقات العراقيّة– السّوفييتيّة وتوضيح أهم العوامل التي أسهمت في تطورها، إضافة إلى تسليط الضوء على أهمية العراق الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة الّتي جعلت منه محطَّ أنظارِ القوتين العظميين وميداناً للتنافس بينهما، إلى جانب تسليط الوضوء على جزء من الصراع السوفيتي– الأمريكي من خلال عرض المواقف السّوفيتيّة من التطورات التي شهدها العراق.

ثانياً: إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث الرئيسة في دراسة تطور العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بين العامين 1945– 1991، وتحليل العوامل التاريخية المتعلقة بتلك العلاقات والمؤثرة فيها. ومن الإشكالية الرئيسة تبرز العديد من التساؤلات التي يمكن الإشارة إليها، نذكر منها:

1–مراحل تطور العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة.

2–أبرز العوامل المؤثرة في انضمام العراق للمعسكر الاشتراكي أو معاداته.

3–أهداف الاتحاد السّوفييتيّ من إقامة علاقات مع العراق.

4–أهمية العامل الأمريكيّ في العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة.

ثالثاً: الإطار الزمني للبحث:

يمتدُّ البحث بين العامين 1945 –1991. ويعود السبب في اختيار هذين العامين لكونهما يحصران مرحلةً تاريخية هي مرحلة الحرب الباردة التي برز خلالها التَّنافس بين القوتين العظميين، وتوجَّهَ كلٌّ منهما إلى دول العالم، ثمّ استغلال هذه الأخيرة لتحقيق مصالحهما السياسية والاقتصاديَّة.

رابعاً: منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج التاريخي القائم على سرد الوقائع التاريخية ووصفها وتحليلها ثم استخلاص النتائج منها.

أولاً: العوامل المؤثرة في العلاقات العراقيّة – السّوفيتيّة:

1–أهمية العراق الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة:

أدّى موقعُ العراق الاستراتيجي وأهميته الاقتصاديَّة دوراً في جعله محطَّ أنظارِ القوى العالمية ومنها الاتحاد السّوفييتيّ الذي وجه جهوده لاستقطاب المناطق الاستراتيجيَّة؛ لأن السَّيطرةَ على هذه المناطق سيمهد الطريق أمامه للتحكم في المجال الإقليمي التابع لتلك المناطق، بل ويمنحه نقاط ارتكازٍ يستطيع من خلالها صد المطامع الأمريكية، وهذا الأمر ينطبق على العراق الذي يحتل موقعاً مميزاً في قلب الشرق الأوسط في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا بين البحر المتوسط غرباً والخليج العربي جنوباً، ويشكل جسراً واصلاً بين الطرق البرية الآسيوية والبحرية الأوربية، وطريقاً برياُ يربط بين روسيا الاتحادية بالخليج العربي والمحيط الهندي، وصلةَ الوصل بين قوات حلف شمال الأطلسي والخليج العربي وإيران التي تصل من خلاله بالبحر المتوسط عن طريق سورية[1].

إضافة إلى الموقع الاستراتيجي يتمتع العراق بأهمية اقتصادية وهو الأمر الذي حقق للاتحاد السّوفييتيّ مكاسبَ اقتصادية سواء عن طريق الحصول على حق استثمار الثروات الطبيعية، ولاسيما النفط، أو عن طريق تصريف منتجاته في الأسواق العراقيّة بما فيها الأسلحة. غير أن النفط في مقدمة الثروات العراقيّة التي سعت القوتان العظمتان على حد سواء لاستغلالها، حيث شهد النفط خلال الخمسينيّات ارتفاعاً ملحوظاً في الإنتاج وخاصة في العام 1950 حيث وصل إلى400 ألف برميل يومياً. وفي العام 1952 ارتفعت إيرادات النفط العراقي من 19 مليون دولار عام إلى 144 مليون دولار في العام 1954 لتبلغ 244 مليون دولار في العام 1958، وبلغ احتياطي النفط 300 مليون برميل وارتفع الإنتاج إلى 5 ملايين برميل يومياً من العام نفسه. وبسبب زيادة اعتماد الدول الصناعية على النفط زاد الاعتماد عليه، الأمر الذي منح العراق أهمية إضافية وجعله محوراً لتنافس الشركات الصناعية الكبرى[2].

[1]– عدوان، راكان: مكانة العراق الإقليمية في ظل التَّنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط، مجلة تكريت للدراسات السياسية، 2019، ص 488.

[2] – ديب، كمال: موجز تأريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأميركية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، دار الفارابي، لبنان، ط4، 2013، ص 82.

2–التَّنافس السّوفييتيّ– الأمريكي:

يعدُّ التَّنافس السّوفييتيّ– الأمريكي أحدَ أبرز العوامل المؤثرة في العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة؛ إذ اعتمد كل من القوتين العظميين على سياسة الاستقطاب وتشكيل الأحلاف، ولم يكن العراق بمنأى عن تلك السّياسة بل على العكس من ذلك، حيث شكل مع كل من سورية ومصر نقاط رئيسة تنافست كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على ضمِّها والاعتماد عليها لتحييد نفوذ القوة الأخرى في المنطقة العربية.

ظهر الاهتمام السّوفييتيّ في العراق مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وصرح وزير الخارجية السّوفييتيّ أندريه غروميكو ANDRY CROMYK 1909– 1989[1] بأنَّ محور اهتمام حكومة بلاده يتمحور حول المنطقة الواقعة جنوب حقول باطوم وباكوم الروسية وبحر قزوين باتجاه منطقة الخليج العربي والعراق، وذلك لكونها تمثّل مناطق نفوذ حيوية يستطيع الاتحاد السوفيتي من خلالها الحد من النفوذ الأمريكي الموجود بقوة في الخليج العربي[2].

بناء على تصريحات وزير الخارجية الروسي فإن هدف الاتحاد السّوفييتيّ في ضم العراق وإقامة قواعد عسكرية فيه يتمثل في إكمال الطوق المفروض على القوة الأمريكية في الخليج العربي، حيث يكمل سلسلة القواعد العسكرية السّوفيتيّة الموجودة في كل من اليمن والصومال، ولاسيما بعد توجيه الولايات المتحدة الأمريكية أسطولها السابعَ ذات القدرات الهجومية العالية القادرة على ضرب أهداف داخل الأراضي السّوفيتيّة إلى مياه الخليج العربي[3].

---

[1]– اندريه غروميكو: حزبي وسياسي وسوفييتي. ولد في بلدة ستاريه 1909 وأتم دراسته في معهد الاقتصاد الزراعي في العام 1932. عمل مدرسا في العام 1963. اختاره ستالين لشغل منصب وزير الخارجية وعين وزيرا بين العامين 1949و 1952، وعامي 1975 و1985. وضع العديد من المؤلفات ونال وسام لينين خمس مرات. للمزيد حول اندريه غروميكو يرجى العودة إلى اندريه غروميكو، الموسوعة العربية، على الرابط الآتي:
http//www. Arab-ency.com

2– محمود، فارس: الأهمية الاستراتيجيَّة للخليج العربي في الحرب الباردة، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2009، ص 98.

3– المرجع نفسه ص 98.

عاد الاتحاد السوفيتي إلى ضرورة توثيق العلاقات مع العراق ليستطيع الوقوفَ في وجه القوة الأمريكية خاصة بعد إصدار الرئيس الأمريكي جيمي كارتر JIMMY CARTER– 1924 [1] مبدأه الشّهير الذي تمحور حول ضرورة التحرك السياسي والعسكري للحفاظ على الوجود الأمريكي في منطقة الخليج العربي، وضمان تدفق الطاقة إليها وإلى حلفائها من دول أوربا الغربية واليابان بأسعار مناسبة، والعمل على الحد من النفوذ السّوفييتيّ وتطويقه، والسعي لاستعادة السيطرة على المناطق الاستراتيجيَّة التي خسرتها في الخليج العربي[2] ، فأطلق الرئيسُ السوفيتيُّ مبادرته القائمة على ضرورة احترام سيادة دول المنطقة وفي مقدمتها العراق وعدم التدخل العسكري فيها، واحترام مبدأ عدم الانحياز [3]الذي اختاره العراق بعد ثورة 1958 [4]وعدم جره إلى الأحلاف العسكرية على حدّ تعبيره [5].

إلّا أنَّ الأهدافَ السّوفيتيّة لم تتحقق دائماً كما خُطط لها، إذ اصطدمت بالتطورات الداخلية التي شهدها العراق، وتأثرت بسياسة الحكومات المتعاقبة على حكمه، ولاسيما بين عامي 1945 و1958، وقد مثّلت هذه التطورات ثالث العوامل التي ساهمت في توجيه مسار العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة.

---

[1]– الرئيس كارتر: الرئيس التسع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. ولد في ولاية جورجيا. تولى الرئاسة عام 1977. أطلق مبدأه الشهير الخاص بتشكيل قوات التدخل السريع في منطقة الخليج العربي. خسر الانتخابات أمام رونالد ريغان بسبب فشله في أزمة الرهائن في طهران عام 1980. للمزيد انظر: الكيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، دار الفارس للتوزيع والنشر، عمان، ط2، 1990، ج2، ص 22.

[2] –البديوي، عادل: الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبولتيكيا، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2015، ص 255.

[3] – ظهرت حركة عدم الانحياز في أيلول من العام 1961 خلال مؤتمر بلغراد بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر وأحمد سوكارنو والرئيس اليوغسلافي تيتو بسبب ظهور الحرب الباردة وانقسام العالم إلى معسكرين متضادين، فكان أن أثارت رغبة لعض دول العالم بالحفاظ على استقلالها والعمل خارج دائرة نفوذ القوتين العظميين، وقد انضم إليها كل من العراق وسورية ومصر وعدد من الدول العربية ودول العالم. وتميزت بسياسة الحياد الإيجابي وتأييد حركات التحرر العالمية. للمزيد انظر: العايدي، أسماء: دور الجزائر في حركة عدم الانحياز من خلال مؤتمر الجزائر عام 1973 انموذجاً. رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، 2015، ص 33– 37.

[4] – ثورة 14 تموز 1958 : قامت ضد الحكم الملكي في العراق قادها عبيد الكريم قاسم وعبد السلام عارف في العام 1958، أدت الى انهاء الحكم الملكي والاتحاد الهاشمي وأخرجت العراق من حلف بغداد. للمزيد حول ثورة 14 تموز انظر: الأعظمي، وليد محمد: ثورة 14 تموز وعبد الكريم في الوثائق البريطانية، دراسة موثقة معتمدة على الوثائق السرية البريطانية لعام 1958، مكتبة النهضة، بغداد، 1989، ص12–40.

[5] – محمد، السعيد إدريس: مبادرة بريجنيف الخليجية والصراع الدولي مجلة السياسة الدولية، العدد 64، 1981، ص 173.

3–تطورات العراق الداخلية:

تعد التطورات التي شهدها العراق بين العامين 1945– 1991 ثالث أهم العوامل في توثيق أو فتور العلاقات مع الاتحاد السّوفييتيّ. وقد ارتبطت التطورات الداخلية بالحكومات العراقيّة التي وجهت علاقات العراق مع الاتحاد السّوفييتيّ. تعد حكومة نوري السَّعيد (1888–1958) [1] (الوصيّ على العرش) أولى الحكومات التي أسهمت في فتور العلاقات العراقيّة– السّوفييتيّة والابتعاد عن المعسكر الاشتراكي والتقارب مع المعسكر الغربي على الرغم من موافقتها على إقامة علاقات رسمية مع الاتحاد السّوفييتيّ في العام 1945، إذ ما لبثت أن أعلنت قطع العلاقات السّوفييتيّة– العراقيّة وانضمام العراق إلى حلف في العام 1955[2].

عند التساؤل عن الأسباب التي دفعت نوري السعيد إلى إبعاد العراق عن الاتحاد السّوفييتيّ يمكن القول: إنّ فكره الايديلوجيّ والعوامل الداخلية والإقليمية والدولية التي تميز بها فترة حكمه وجهت سياسته. فرغبته في ضمان الحصول على دعم الولايات المتحدة الأمريكية لحماية أركان حكومته والسيطرة على المشهد السياسي في بلاده وتجنب أي توترات داخلية، ولاسيما الأكراد المدعومين من قبل روسيا من جهة، والحفاظ

[1] – نوري السعيد: سياسي عراقي شغل منصب وزير الخارجية عدة مرات. ولد في بغداد وتخرج من المدرسة الحربية في استانبول وخدم في الجيش العثماني وأسهم في الثورة العربية الكبرى، وانضم للأمير فيصل بن الحسين في سوريا في العام 1916 ليساهم بتأسيس المملكة العربية. تولى منصب رئيس الوزراء في عهد عبد الاله . تميزت سياسته بالتقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية انضم الى حلف بغداد في العام 1955 وأطيح بحكومته بعد ثورة 14 تموز 1958. للمزيد انظر: الدوري، سيف الدين: نوري باشا السعيد 50 عاماً على مصرعه وسقوط النظام الملكي في العراق عام 1958، الدار العربية للموسوعات، (د.ت)، عدد الصفحات 542.

[2]– برزت فكرة تشكيل حلف بغداد بعد تشكيل حلف شمال الأطلسي في أوربا الغربية والأنزوس في جنوب شرق آسيا. بدأت الخطة الأمريكية بتشجيع العراق على عقد اتفاق عسكري مع تركيا، ثم ضم كل من إيران وباكستان[2]. وبالفعل أثمرت جهود الإدارة الأمريكية إذ وقعت أنقرة وبغداد ميثاق التعاون المشترك في شباط 1955 تعهدتا فيه بصد أي اعتداء يقع على أحدهما. وفي نيسان من العام نفسه أعلنت المملكة المتحدة عزمها على الانضمام إلى الاتفاق العراقي– التركي، ما لبثت أن انضمت كل من باكستان وإيران الى الحلف، في حين اكتفت الولايات الأمريكية بدور مراقب للحلف، وعضوٍ في لجنة مكافحة النشاط الهدام، واللجنتين الاقتصاديَّة والعسكرية التابعة له. للمزيد انظر: عماري، فيصل: التحالفات الدولية خلال الحرب الباردة –حلف بغداد – أنموذجاً، جامعة محمد بومضياف– المسيلة، الجزائر، 2016، ص 14.

على المكاسب الاقتصاديَّة من جهة، وضمان استمرار سيطرته على آبار النفط وصد الهجمات السّوفييتيّة من جهة أخرى تمثّل الأسباب التي جعلته ينحاز إلى الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الرأسمالي، وقد عبر نوري السعيد عن ذلك بقوله: << إن في العراق من الشمال إلى أقصى الجنوب حقول نفط مهمة، لايمكن إذا وقعت الحرب... أن نتصور أن العراق بمفرده يستطيع أن يدفع الغارات الجوية عنه... لذلك منحتُ الحكومة الأمريكية كلَّ التسهيلات، وسمحتُ لها باستعمال مطاراتنا العسكرية[1]>> .

إنّ تغير مسار العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بعد وصول عبد الكريم قاسم 1914–1963[2] وقيام ثورة تموز 1958 لم يكن نتيجةَ إعلان نهاية الحكم الملكي ونهاية أربعة عقود لانحياز العراق للقوة البريطانية، بل بسبب الفكر الأيديلوجي المختلف الذي جاءت به، إذ اتبعت حكومة قاسم دبلوماسيةَ الموازنة وإرضاء القوتين العظميين، فحافظت على العلاقات الاقتصاديَّة مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وأعادت في الوقت نفسه العلاقاتِ مع الاتحاد السّوفييتيّ الذي رحّب بدوره بالثورة العراقيّة واعترف بحكومة قاسم بعد يومين من الثورة[3].

يُعدّ عبد الكريم قاسم قائدَ مسيرة التقارب العراقي– السوفيتي، فبعد عام من توليه الحكم، أعلن انسحابَ العراق من حلف بغداد، ووجّهَ رسالة إلى الولايات المتحدة الأمريكية مفادها نهاية العلاقات العراقيّة– الأمريكية، وقد عبر عن ذلك صراحة بقوله: << خرجنا من حلف بغداد وتخلصنا من آخر ورقة من أوراق الاستعمار[4]>>، وكان

---

[1] –the Baghdad pact (1955) and the central treaty organization (CENTO), U.S.A department of states, sit of; http;// 2001-2009. State.gov.

[2]– عبد الكريم قاسم: ضابط عسكرى ورئيس وزراء العراق والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع بالوكالة من عام 1958 إلى1963 . ولد فى بغداد فى العام 1914، والتحق بالأكاديمية العسكرية بين العامين 1932–1934، وبكلية الأركان بين العامين 1940– 1941. وبمدرسة كبار الضباط فى إنكلترا فى العام 1950. قاد عبد الكريم قاسم الذى كان عضواً فى تنظيم الضباط الأحرار ثورة 14 تموز مع عبد السلام عارف، واستطاع الإطاحة بالنظام الملكى واعلان الجمهورية العراقيّة 1958. للمزيد حول عبد الكريم قاسم انظر: الزبيدى، ليث عبد الحسن: ثورة 14 تموز 1958 في العراق، مكتبة اليقظة العربية، رأس الخيمة، ط2، 2017، ، ص 354.

[3] – الطائى، عباس: انسحاب العراق من حلف بغداد عام 1959 دراسة تحليلية لجريدة الثورة البغدادية، مجلة جامعة بابل للعلوم السياسية، المجلد 27، العدد 6، 2019، ص 258.

[4]– المرجع نفسه، ص 263.

لذلك أثر كبير في زيادة التقارب السّوفييتيّ- العراقي الذي استمر إلى ما بعد نهاية حكومة قاسم وتولي عبد السلام عارف 1921-1966[1] ثم أخيه عبد الرحمن 1916-2007 [2]حكم العراق. فعلى الرغم من توتر العلاقات السّوفيتيّة- العراقيّة خلال فترة حكم عبد السلام عارف بسبب ملاحقته للشيوعيين، كانت العلاقات تسير قدماً ولاسيما الاقتصاديَّة منها، وأكد ذلك المتحدث الرسمي باسم الحكومة السوفييتية في 9 شباط 1963، وعادت العلاقات السياسية للتحسن واعترف الاتحاد السوفييتي بحكومة عارف وأكد استمرار تقديم الدعم الاقتصادي والعسكري وفقا للاتفاقيات المعقودة بين الطرفين [3].

استمر تحسن العلاقات بوصول عبد الرحمن عارف، ويعتبر العديد من الباحثين عهده بداية جديدة للعلاقات العراقية- السوفيتية، إذ فتح المجال لتوثيق العلاقات ولاسيما الاقتصادية والثقافية منها. ومع وصول أحمد حسن البكر 1914-1982 [4] شهدت العلاقات العراقية- السوفيتية قفزة نوعية بعد توقيع الطرفين معاهدة الصَّداقة والتعاون عام 1972[5] ثم شهدت العديد من التوترات إثر قيام الحرب العراقية-الإيرانية (1980-1988) والغزو العراقي للكويت(1990-1991) لتنتهي هذه العلاقات بانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه عام 1991.

---

[1]- عبد السلام عارف: عسكري ورجل دولة عراقي. ولد في بغداد وكان أحد ضباط الجيش العراقي خلال حرب فلسطين، وأحد أبرز المخططين لثورة تموز 1958. تولى الحكم في العام 1963 بعد عبد الكريم قاسم. وتم في عهده إقامة الاتحاد الاشتراكي القومي العراقي. أعلن تأميم الشركات الكبرى والبنوك. توفي في العام 1966 بحادث طائرة أثناء تجوله فوق منطقة القرنة جنوب العراق وسط عاصفة رملية. للمزيد انظر: فوزي: احمد، عبد السلام عارف أول رئيس للجمهورية العراقية حياته ومصرعه، دار دجلة للنشر، بغداد، (د.ت)، ص 4-35.

[2]- عبد الرحمن عارف: عسكري ورجل دولة عراقي. ولد في بغداد في العام 1916. انتسب الى الكلية العسكرية بين العامين 1946 -1947. التحق بصفوف ثورة 14 تموز وعين رئيسا للأركان بعد انقلاب أخيه عبد السلام عارف، وبقي حتى العام 1968 حيث أطاحت ثورة 1968 بحكمه. للمزيد حول عبد الرحمن عارف انظر الكيالي، مرجع سابق، ج3، ص 827- 828.

[3] - الزهري، زينب: عبد الرحمن عارف ودوره في العراق 1966-1968، دار الحرية، بغداد، 1990، ص254.

[4] - أحمد حسن البكر: رئيس العراق عام 1968، ولد في تكريت في العام 1914، شارك في تنظيم الضباط الاحرار في العام 1958، حارب الفساد وعمل على النهوض بالعراق على جميع الأصعدة. تميز بسياسة خارجية معتدلة وحاول التقارب مع القوى الإقليمية والدولية فوقَّع مصالحة مع ايران ووقف الى جانب حركات التحرر العربية والعالمية. تقارب مع الاتحاد السوفييتي ووقع معاهدة التعاون والصداقة عام 1972. خلفه صدام حسين في رئاسة العراق. للمزيد حول الرئيس أحمد حسن البكر انظر: الكيالي، مرجع سابق، ج1، ص 93.

[5]- سيتم تفصيل معاهدة الصَّداقة والتعاون في ص 18-19 من هذا البحث.

ثانياً: مراحل تطور العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بين العامين 1945– 1991.

1–العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بين العامين 1945– 1958:

قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية وتحديداً في العام 1944 بدأت العلاقات الرسمية العراقيّة– السّوفيتيّة في 21 آب من العام نفسه، عندما وافق مجلس الوزراء العراقي على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجانب السّوفييتيّ، وعُيّنَ فيتوفيتش زايتزين أول ممثل دبلوماسي في بغداد في العام 1945، بينما تأخرت الحكومة العراقيّة في إرسال ممثلها عباس مهدي إلى موسكو حتى 16 تشرين الثاني من العام نفسه[1]. وعلى الرغم من تبادل الجانبين العراقي والسّوفييتيّ عدة برقيات بين العامين 1945 –1954 ظلّ مستوى العلاقات منخفضاً، بل غلب على تلك العلاقات طابع الشك والحذر؛ وسبب ذلك أن الحرب الباردة كانت قد بدأت، وبدأت دول العالم بالانحياز إلى أحد المعسكرين: إما إلى الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وإمّا إلى الاشتراكي بقيادة الاتحاد السّوفييتيّ. غير أن العلاقات السوفيتية– العراقية وصلت حد القطيعة بعد انضمام العراق إلى حلف بغداد رسمياً في العام 1955[2]، وبذلك تحول العراق إلى سدٍّ منيعٍ في وجه المدِّ الشيوعي القادم من الاتحاد السوفيتي، وأداةٍ لكبح جماح المد القومي القادم من مصر بقيادة جمال عبد الناصر 1918–1970[3].

أ– الموقف السوفيتي من حلف بغداد عام 1955.

شهدت العلاقات العراقيّة– السّوفيتيّة منعطفها الأول بعد انضمام العراق رسمياً إلى حلف بغداد عام 1955، حيث وقف الاتحاد السّوفييتيّ ضد الحلف، ووصفه على لسان

[1]– عامر، ريسان: العلاقات العراقيّة السّوفيتيّة 1963– 1968، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2010، ص 14.

[2] – العكيدي، بشار فتحي جاسم: الموقف الروسي من الضغوط الأمريكية على العراق 1991– 2003، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ص 4.

[3] جمال عبد الناصر: قائد ورجل عسكري ورئيس مصر. ولد في الاسكندرية في العام 1918. تعلم في القاهرة والتحق بالكلية العسكرية في العام 1938. عين بسلاح المشاة في أسيوط ثم نقل إلى الاسكندرية. انضم الى صفوف تنظيم الضباط الاحرار الذين قادوا ثورة 1952. تقلد منصب وزير الداخلية ثم رئيساً للوزراء في العام 1954. وأصبح رئيساً لمصر ورئيس الجمهورية العربية المتحدة في العام 1958. اتبع سياسة عدم الانحياز. للمزيد انظر: ب.ج. فاتكيوس، جمال عبد الناصر وجيله، ترجمة: سيد زهران، تقديم: الياس سحاب، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة الاهرام، 1992، 20–55.

وزير خارجيته غروميكو بأنّه سلاحٌ عدوانيٌّ وتهديدٌ مباشرٌ للسلام والأمن في المنطقة[1]. وقد كان وراء الموقف السوفيتي الرافض عوامل عدة، منها أن الحلف حرم الاتحاد السوفييتي من نقطة استراتيجية يمكنه من خلالها الوصولُ إلى المياه الدافئة، إضافة لكونه أداة أمريكية تُهدّد حقول النفط السّوفييتيّة في إقليم القوقاز والمراكز الصناعية الكبرى في شمال البحر الأسود وإقليم جبال أورال، كما أنه وسيلة للحصول على مكاسب اقتصادية بالسيطرة على نفط المنطقة العربية والمنطقة الوسطى وحرمان الاتحاد السّوفييتيّ منها، ولتهديد المصالح الأمنية الجوية السّوفييتيّة، من خلال استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لقواعدها العسكرية المتمركزة في دول الحلف[2] ، وضرب مراكز التصنيع السّوفيتيّة حول منطقة البحر الأسود، وقيامها بتوجيه ضربات جوية مضادة للغارات السّوفيتيّة على غرب أوربا، وذلك من خلال الكشف عن تلك الغارات عن طريق أنظمة رادار للإنذار التي أنشئت بحسب الاتفاق المعقود بين بريطانيا والعراق[3].

من خلال موقف الاتحاد السّوفييتيّ من حلف بغداد يتبين أن الغرض الرئيس من إقامة علاقات مع العراق يتمثل في جر بغداد إلى المعسكر الاشتراكي، وتحويله إلى قاعدة يرتكز عليها الاتحاد السّوفييتيّ للتوغل داخل المنطقة العربية، إلا أن هذا الهدف اصطدم بتوجهات الحكومة العراقيّة آنذاك، حيث كان نوري السعيد يترقّبُ الفرصة لإنهاء العلاقة مع الاتحاد السوفيتي لغرض التهيئة لتأسيس حلف بغداد كما ذُكر سابقاً، فأعلن في 14 كانون الثاني 1955 عن إنهاء العلاقة بين العراق والاتحاد السوفيتي معللاً ذلك بأن المفوضية السّوفيتيّة في بغداد أصبحت تتدخل في الشأن العراقي الداخلي[4].

[1] – عماري، مرجع سابق، ص14.

[2] – قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مساعدات عسكرية لأعضاء الحلف، وبنت عددًا من المطارات الحربية في تركيا (قارس، ازمير، ديار بكر)، وتجديد المطارات القديمة. وتم الاتفاق على بناء قاعدة للصواريخ باستانبول خصصت لها 26 مليون ليرة تركية، كما قامت بريطانيا بتدريب الجيش العراقي وأقامت منشآت عسكرية لخدمة الطائرات الغربية وتسهيل مرورها. للمزيد حول الموضوع انظر: عماري: مرجع سابق، ص30.

[3]– J.A. Kechichinan., Baghdad Pact Comments add Comment, 1988, sit of; http;// www. Iranicaonlin. Org.

[4] – العكيدي، مرجع سابق، ص 4.

لكن النجاح الذي حققته الولايات المتحدة الامريكية في ضم العراق إلى المعسكر الرأسمالي وحرمان الاتحاد السّوفييتيّ من ذلك تلاشى سريعاً، وانتعشت الآمال السّوفييتيّة من جديد إثر قيام ثورة 14 تموز 1958 وإعلان الحكومة العراقيّة بقيادة عبد الكريم قاسم انسحابها من حلف بغداد رسمياً في العام نفسه. فعلى الرغم من أن العراق اتخذ مبدأ الحياد وعدم الانحياز بعد ثورة تموز، واستمرار العلاقات العراقيّة– الأمريكية الاقتصاديَّة فقد بدأ العراق يميل إلى مغازلة الاتحاد السّوفييتيّ الذي بدأ بدوره يخطب ودَّ الحكومة العراقيّة وينتهز الفرص لتوثيق العلاقات معها وإعادتها إلى قائمة حلفائه في المنطقة.

4–العلاقات السّوفييتيّة– العراقيّة بين العامين 1958– :1980

مثلت ثورة 14 تموز 1958 انعطافاً كبيراً في تاريخ العراق؛ لأنها أطاحت بالنظام الملكي وأعلنت النظام الجمهوري، وجاءت بفكرٍ أيديولوجي مختلف عن سابقه، وهو الأمر الذي أنعش آمال الاتحاد السّوفييتيّ الذي وجد فرصة ذهبية لإحياء فكرته القائلة بضرورة استخدام الموقع الاستراتيجي والثقل الاقتصادي الذي يتمتع به العراق لتعزيز مكانة السوفييت داخل المنطقة العربية.

أ– العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بعد قيام ثورة 14 تموز 1958

بارك الاتحادُ السّوفييتيّ ثورة 14 تموز التي وجد فيها فرصةً ذهبيةً لإخراج العراق من المعسكر الغربي وضمّها إلى المعسكر الاشتراكي. وجاء الاعترافُ السّوفييتيّ بالجمهورية العراقيّة في 16 تموز 1958 أي بعد يومين فقط من إعلان الثورة التي وصفها بأنها جزء من << النضال ضد الامبريالية[1] >>، وفي اليوم نفسه أُعلن استئناف العلاقات الدبلوماسية.

[1]– دفعت خسارة العراق الإدارة الأمريكية للعمل في ثلاثة محاور رئيسة هي: إيران ولبنان والأردن. أما إيران فلا تقل أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية عن العراق من حيث موقعها الاستراتيجي وغناها الاقتصادي، والتقارب معها سيعيد السيطرة الأمريكية على بوابة منطقة الشرق الأوسط من جديد، وسيحول إيران إلى سد منيع يقف في وجه النفوذ السّوفييتيّ، وسيعمل على حصار العراق. ويأتي الرفض الأمريكي منسجمًا مع الخطة الأمريكية في تحييد النفوذ العراقي وحصره، ولو أن العراق بقيت من ضمن قائمة الحلفاء الأمريكيين لكان من الممكن دعم واشنطن لمطالبها في الكويت. انظر: عبد الله، ريسان : الموقف السّوفييتيّ من ثورة 1958، ملاحق جريدة المدى اليومية، 2013، على الرابط الآتي:

http;// www. Almada supplements. net.

بدأ الاتحادُ السّوفييتيّ يرسم سياسة خاصة تجاه العراق، إذ لم يدخر جهداً في الوقوف بوجه محاولات التدخل العسكري الأمريكي والبريطاني والتركي في العراق، وطالب مجلس الأمن باتخاذ الإجراءات المناسبة لوقف التدخلات الخارجية في بغداد، وهدّد بأنه لن يقف مكتوف الأيدي، وأعلن من خلال وكالة تاس السّوفييتيّة قيام قواته البرية والبحرية والجوية بمناورات عسكرية واسعة النطاق. في السياق نفسه طالب الاتحادُ السّوفييتيّ بعقد جلسةٍ طارئةٍ لمجلس الأمن في 19 تموز 1958 لمعالجة الموقف المتأزم في الشرق الأوسط. وكرر تحذيره تركيا من التدخل عسكرياً في العراق في 24 تموز من العام نفسه[1].

وبدورها العراق وتعبيراً عن الرضا بعودة العلاقات العراقيّة– السّوفييتيّة، عينت الحكومة عبد الوهاب محمود سفيراً لها في موسكو، وأيدت مواقف الاتحاد السّوفييتيّ في مجلس الأمن، حيث صرح مندوب العراق في الأمم المتحدة هاشم جواد عن تأييد الحكومة العراقيّة ودعوة موسكو لعقد اجتماع مجلس الأمن، وأشار إلى أن للحكومة السّوفييتيّة الحقَّ في إظهار اهتمامها بالمنطقة العربية عامة والعراق خاصة كونها تمثل إحدى القوتين العظميين ولها مصالح اقتصادية وعسكرية في المنطقة. إضافة إلى ذلك وقّعت اتفاقية التعاون الفني والاقتصادي بين الجانبين العراقي والسّوفييتيّ في 16 آذار 1958 قدمت بموجبها موسكو 137 مليون دولار لتطوير الاقتصاد العراقي، كما تم تبادل العديد من الزيارات بين الجانبين بدأت بدعوة الحكومة السّوفييتيّة عدداً من الشخصيات العراقيّة البارزة إلى موسكو، ما لبثت أن استقبلت الحكومةُ العراقيّة خمسة معلمين سوفييت في 22 كانون الأول 1958، ووافق مجلسُ الوزراء على إيفاد أربعة ضباط إلى موسكو برئاسة العميد شاكر محمود شكري وقد استقبلهم الرئيس السوفييتي خروتشوف[2] ورئيسُ الأركان أندريه غريشكو Andreh Grechko ومعاونه فالينوفسكي Valinovsky.

[1]– عبد الأمير، عبد الله: الاتحاد السّوفييتيّ والعراق السعي السّوفييتيّ من أجل النفوذ، مركز الدراسات والتخطيط، 2016، على الرابط الآتي:

Http;// www. Bayancenter. Org.

[2]– نيكيتا خروتشوف: رئيس الاتحاد السوفييتي بين العامين1953 – 1964. تميز حكمه بمعاداة الستالينية وانتهاج سياسة جديدة على كافة الأصعدة، والتقارب مع الدول العربية ولاسيما العراق وسورية ومصر ووقف إلى جانب القضايا العربية. شهد عهده بدايات النزاع السوفييتي– الصيني، والأزمة الكوبية في العام1962، وإنشاء حلف وارسو في العام 1955. نحي عن الحكم في العام 1964، وتوفي في العام 1977. للمزيد حول الرئيس خروتشوف انظر: الكيالي: مرجع سابق، ج2، ص 611.

وكانت مهمة الوفد الحصولَ على المساعدات العسكرية من الاتحاد السّوفييتيّ. في السياق نفسه استقبلت بغدادُ وفدًا عسكرياً سوفييتيًا في 4 تشرين الثاني 1958 برئاسة رئيس الأركان غريشكو، وكانت شحنة أسلحة سوفييتية قد وصلت في 24 تشرين الثاني من العام نفسه[1].

شهدت العلاقات العراقيّة– السّوفييتيّة تطوراً كبيراً من الناحيتين العسكرية والاقتصاديَّة في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف، وتعد زيارة الزعيم السّوفييتيّ نيكولاي بودرغوي Nikolai Bourdguey إلى العراق في 3 تموز 1967البداية الحقيقية لفتح آفاق التعاون العراقي –السّوفييتيّ، إذ تلتها مباشرة زيارة وزير الدفاع العراقي شاكر محمود شكري إلى موسكو، استمرت ثمانية عشر يوماً التقى خلالها المارشال غريشكو، وتباحث الطرفان حول إرسال الاتحاد السّوفييتيّ شحنات أسلحة إلى العراق وتوفير الحماية له، وعلى إثر الزيارة أرسِلتْ سفينتان حربيتان تابعتان للأسطول السّوفييتيّ إلى ميناء أم قصر في 11 أيار 1968 ،. وقد نالت تلك الخطوة ترحيب الرئيس عارف و أكد أهميتها على أنّها خطوةٌ ضرورية لموازنة القوى الأمريكية في المنطقة، ولاسيما أنها ترافقت مع انسحاب القوات البريطانية من الخليج العربي. وعلى الصعيد الاقتصادي، تبادل العراقُ والاتحادُ السّوفييتيّ عدداً من الزيارات أهمها زيارة رئيس لجنة العلاقات الاقتصاديَّة الخارجية السّوفييتيّة سيموف سكاتشوف التي نجحت في توسيع التعاون الصناعي بين الجانبين العراقي والسّوفييتيّ، والحصول على امتيازات استخراج النفط[2].

[1]– عبد الأمير، مرجع سابق.

[2]– الجفيفي ، صدام يوسف عبد: سياسة العراق الخارجية في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف 17 نيسان 1966– 17 تموز 1968، دار الكتاب الثقافي، بغداد، (د.ت)، ص 137.

أدرك الاتحادُ السّوفييتيّ ضرورة توثيق العلاقات مع العراق في أوائل السبعينيّات، ولاسيما بعد تراجع العلاقات السّوفييتيّة– المصرية بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتسلم الرئيس أنور السادات 1918–1981[1]، وإعلان الأخيرِ بدءَ تطبيع العلاقات مع المعسكر الغربي. تحقيقاً لذلك، زار نائب رئيس الوزراء فلاديمير نوفيكوف العراق عام 1971 التقى خلالها نظيره العراقي، وانتهت الزيارةُ بإصدار الطرفين بياناً مشتركاً أشارا خلاله إلى رغبتهما في تعزيز العلاقات الثنائية. وبالفعل فقد قدمت موسكو مساعدات اقتصادية الى العراق، وتعهدت بتنفيذ مشروع قناة الثرثار الواصلة الى بحيرة الفرات بطول 940 كم. وبحلول عام 1971 أصبح الاتحاد السّوفييتيّ أكبرَ مصدِّر للعراق للمعدات الميكانيكية والسفن والطائرات[2].

وفي 15 تشرين الثاني 1971 قدَّم الرئيسُ العراقيُّ أحمد حسن البكر الميثاق الوطني وتضمن رغبة العراق في تحسين العلاقات مع الاتحاد السّوفييتيّ ودول المعسكر الاشتراكي، ونال ذلك إعجابَ الاتحاد السّوفييتيّ الذي رحب بالميثاق وعدَّهُ مقدمة لتوقيع الطرفين معاهدة الصَّداقة والتعاون في نيسان 1972[3] .

ب– اتفاقية الصَّداقة والتعاون السّوفييتيّة– العراقيّة عام 1972.

وُقعت معاهدة الصَّداقة والتعاون السّوفييتيّة– العراقيّة في 9 نيسان 1972من قبل رئيس الوزراء السّوفييتيّ أليكس كوسيجين والرئيس العراقي أحمد حسن البكر. وتعدّ المعاهدة حجرَ الأساس الذي بنيت عليه العلاقات العراقيّة– السّوفيتيّة منذ توقيعها، لأنها شملت جميع المجالات التي تهمُّ الجانبين السّوفييتيّ والعراقي، وحققت أهداف الاتحاد

[1]– أنور السادات: عسكري ورجل عسكري ورئيس مصر . ولدج في قرية المنوفية في العام 1918 والتحق بالكلية الحربية في العام 1938، وتخرج ضابطاً. ضمه جمال عبد الناصر إلى حركة الضباط الأحرار ، تولى رئاسة مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر في العام 1970 ووثق العلاقات المصرية السوفييتية بداية حكمه فقط ثم الغى العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وألغى الاتفاقية المصرية– السوفيتية واعلن التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية . للمزيد حول أنور السادات انظر: الكيالي، مرجع سابق، ج6، ص 75–76

[2] – المرجع نفسه، ص 74، 75.

[3] - SHEMESH Haim., soviet Iraqi relation, 1968- 1988 in the shadow of Iraq – Iran conflict, 1992, pp. 66-69.

السّوفييتيّ وضمِنت نجاحه بضمِّ العراق لقائمة حلفائه. ويتبين ذلك بوضوح من خلال البحث في بنود المعاهدة. ففي حين نصت المادة الأولى من المعاهدة على تطوير التعاون بين الطرفين في المجالات الاقتصاديَّة والعسكرية والعلمية والتقنية، على أساس مبدأ احترام السيادة والسلامة الإقليمية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للطرف الآخر، نصت المادة الرابعة على التزام الطرفين محاربة الامبريالية والصهيونية، وأكدت المادة السابعة تشاور الطرفين وتشاركهما في جميع القضايا الدولية المهمّة. وتعد المادتان الثامنة والتاسعة الأكثر أهمية بين بنود المعاهدة، حيث تنص المادةُ الثامنةُ على تعاون الطَّرفين في حال وقع هجومٌ على أحدهما يهدِّد أمنه وسلامته، وتنصُّ المادةُ التاسعة على تعزيز الجانبين القدراتِ الدفاعيةَ بينهما[1].

وبعد قرار تأميم شركات النفط العراقيّة في الأول من حزيران 1972 عقد الطرفان السّوفييتيّ والعراقي عدة اتفاقيات تنص إحداها على تعهد العراق بتسديد القروض السّوفييتيّة عن طريق النفط وبالفعل وصل استيراد الاتحاد السّوفييتيّ من النّفط العراقي الخام إلى 4 ملايين برميل يومياً في العام 1974، إضافة إلى عدة اتفاقيات لتوسيع إنتاج حقل الرميلة وبناء خط أنابيب لنقل النفط بين البصرة وبغداد، وإقامة مشاريع الري والنقل والطاقة كمشروع إنشاء محطة كهرباء ذي قار في جنوب العراق بتكلفة 99 مليون دينار عراقي[2].

أثارت معاهدة الصَّداقة والتعاون قلق الولايات المتحدة الأمريكية، ولعل مذكرة السكرتير التنفيذي لوزارة الخارجية الأمريكي ثيودور إليوت إلى مساعد رئيس الأمن القومي في تلك الفترة هنري كسنجر (1923–) تبين الموقف الأمريكي بوضوح، إذ أشارت المذكرةُ إلى أنّ المعاهدة ليست سوى مرآة تعكس التطورات السّوفييتيّة في المنطقة

[1] - METZ Helen Chapin., Iraq country stydy, gpo for the library of congress, Washington, 1988, p.34

[2] – عبد الأمير، مرجع سابق.

والوجود السّوفييتيّ المتزايد في العراق، وهي جزءٌ من سلسة تحركات سوفييتية للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية في المنطقة العربية[1] .

أخذت العلاقات بين العراق والاتحاد السّوفييتيّ تتدهور منذ العام 1978 بسبب تطور موقف موسكو من الصراع العربي– الصهيوني، وساءت العلاقات لدرجة قامت العراق بنقل السفارة السّوفييتيّة من مكانها في بغداد. وعلى الرغم من توقيع الطرفين اتفاقيتين لتزويد الاتحاد السّوفييتيّ العراق بأسلحة وصلت قيمتهما 3.7 مليار دولار[2]، إلا أنّ العلاقات استمرت بالتدهور، ولاسيما مع بداية العام 1980 أي مع تولي الرئيس صدام حسين (1937– 2006) لمنصب الرئاسة [3] والّذي أصدر الميثاق الوطني فدعا فيه إلى إبعاد القوى العظمى عن المنطقة العربية، ووجه خلاله حملاتِ نقدٍ واسعة للاتحاد السّوفييتيّ بسبب تورط الأخير بالحرب في أفغانستان[4]. ويعد الميثاق بداية التدهور الحقيقي للعلاقات العراقيّة– السّوفييتيّة التي ستبلغ ذروتها مع بداية الحرب العراقيّة –الإيرانية.

2– المواقف السّوفييتيّة من حربي الخليج الأولى والثانية (1980–1991)

أدت حرب الخليج الأولى (1980– 1988) وحرب الخليج الثانية (1990–1991) دوراً بارزاً في توجيه مسار العلاقات السوفيتية – العراقية. فالحرب العراقية– الإيرانية نتج عنها فتوراً في العلاقات العراقية–السوفيتية بسبب موقف الحياد الذي اتخذه الاتحاد

[1]- preliminary analysis of Iraqi-Ussr treaty, memorandum from the executive secretary if the state (Eliot) to the president's assistant for national security affairs (Kissinger), foreign relations of the united states, 1969-1972, vol e-4, documents on Iran and Iraq 1969-1972, department of states, April, 1972, pp. 1,2.

[2] – عبد الأمير، مرجع سابق.

[3] – صدام حسين: ولد بالقرب من تكريت في العام 1937 ثم انتقل إلى بغداد ليلتحق بصفوف حزب البعث العربي الاشتراكي تولى رئاسة العراق بين العامين 1979 و 2003. كان من الممهدين لاتفاقية التعاون السوفيتية– العراقية في العام 1972. خاض في عهده الحرب العراقية الايرانية بين العامين 1980 و1988. ثم غزا الكويت في العام 1990. وانتهى حكمه على يد الاحتلال الأمريكي للعراق بين العامين 2003 و 2011. للمزيد حول صدام جسين انظر: الكيالي: مرجع سابق، ج3، ص 627، 630.

[4] - KURUCSAI: developments of soviet- Iraq relation oscitations' are, foreign minister Budapest, Wilson center digital archive, international history, no. 41/is/81/, march, 1981.

السوفيتي خلال السنوات الأولى من الحرب في الوقت الذي كان يحتاج فيه إلى الدعم الدبوماسي والعسكري. فيما قادت حرب الخليج الثانية إلى نهاية العلاقات السوفيتية– العراقية ليس بسبب ضعف الموقف السوفييتي من العملية العسكرية الأمريكية ضد العراق وعدم محاولته منعها أو الوقوف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية فقط، بل لأنها تزامنت مع نهاية الاتحاد السوفيتي وتفككه وخروجه من دائرة القوى العظمى في العام 1991.

أ– الموقف السّوفييتيّ خلال حرب الخليج الأولى (1980–1988)

اندلعت حربُ الخليج الأولى (الإيرانية– العراقية) بين العراق وإيران في أيلول 1980على إثر التوترات التي نشبت بين البلدين، حيث اتهمت العراقُ إيران بقصف البلدات الحدودية العراقيّة في 4 أيلول 1980 واجتياح قواتها الأراضي الإيرانية في 22 أيلول من العام نفسه. دامتِ الحرب ثماني سنوات وتوقفت بعد موافقة الجانبين العراقي والإيراني على قرارات مجلس الأمن القاضية بوقف إطلاق النار[1].

مثّلت حربُ الخليج الأولى 1980–1988 النقطة الحرجة في العلاقات السّوفييتيّة– العراقيّة، وبداية نهاية التقارب العراقي– السّوفييتي بسبب سياسة الحياد التي اتخذها الاتحاد السّوفييتيّ خلال السنوات الأولى من الحرب، وإصداره الأوامرَ لسفنٍ سوفييتية محملةٍ بالأسلحة كانت متوجهة إلى ميناء أم قصر بالعودة إلى مواقعها. وقد اعترف الاتحاد السّوفييتيّ بذلك، كما هو واضح مما ذكر في صحيفة البرافدا Pravda تصريح بريجنيف Brezhnev الذي قال فيه: << لن نتدخل في النزاع القائم بين إيران والعراق ونحن مع التسوية المبكرة بين الطرفين ونقول للآخرين ارفعوا أيديكم عن هذه الأحداث[2] >>. وبحسب ما كشفته وثيقة سرية صادرة عن مركز ويلسون للأبحاث التاريخية أثارت

[1]– ضاحي، كمال عواد: العلاقات العراقيّة– الأمريكية 2003–2011، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2016، ص 30.

[2]– الحديثي علي سبتي، الحرب الإيرانية– العراقيّة 1980–1988: ضغوط التاريخ وأوهام العقائد، (د.م)، (د.ت)، ص 173.

السياسة السّوفييتيّة تلك غضبَ الرئيس العراقي صدام حسين الذي وصف حليفه السّوفييتيّ في العديد من الصحف والتقارير بالحليف غير المخلص[1].

على الرغم من ذلك، واصل الاتحادُ السّوفييتيّ موقفَ الحياد، إلّا أنّ تطورَ النزاع العراقي– الإيراني واستغلال الولايات المتحدة الأمريكية له في تحقيق مصالحها ، وتضررَ المصالح الاقتصاديَّة للاتحاد السّوفييتيّ بعد منعه شحنات الأسلحة الى العراق دفع موسكو إلى تغيير موقفها وإلى السعي لتبني سياسة جديدة تجاه طرفي النزاع، ولاسيما بعد ما كشف تقرير للسفير السّوفييتيّ في بودابست بافلوف Pavlov عن طلب ايران والعراق الأسلحة من الولايات المتحدة الامريكية وقبول الأخيرة بذلك[2].

وعلى الرغم من استئناف الاتحاد السّوفييتيّ تزويد العراق بما يحتاجه من أسلحة بداية العام 1982 لم يتغير الموقف العراقي كثيراً، والسبب هو اكتشاف مهندسي الصواريخ العراقيين أسلحة سوفييتية أطلقت على بغداد من جهة إيران، و تشكيك الزعماء العراقيين بصدق نية موسكو اقناع إيران بوقف إطلاق النار، حيث صرحت الحكومة العراقيّة عام 1987 عن خيبة أملها من الموقف السّوفييتيّ الذي لم يمارس ضغطا كافياً على ايران لإرغامها على التعاون مع قرار مجلس الامن رقم 598 الصادر في 20 حزيران 1987 ، الذي دعا إلى وقف فوري لإطلاق النار بين إيران والعراق وإعادة أسرى الحرب، وانسحاب الطرفين إلى الحدود الدولية[3].

---

[1] - Kurucsai., op,cit.

[2] - ibid.

[3]–تضمن القرار 598 الآتي: 1– يطالب مجلس الأمن بأن تلتزم جمهورية إيران الإسلامية والعراق...بوقف إطلاق النار على الفور.

2– يطلب إلى الامين العام أن يوفد فريقاً من مراقبي الأمم المتحدة للتحقيق والتأكد من وقف إطلاق النار3– يحث على الإفراج عن أسرى الحرب وإعادتهم إلى أوطانهم4 – يطلب من جميع الدول الأخرى أن تمارس أقصى درجة من ضبط النفس . للمزيد حول القرار رقم 598 العودة إلى

UN Security Council Resolution 598, Iran / Iraq , Published July 20, 1987, SIT OF: http://www.cfr.org.

2–الموقف السّوفييتيّ من حرب الخليج الثانية (1990–1991):

تزامنت حربُ الخليج الثانية 1990–1991 مع بداية نهاية الاتحاد السوفيتي، حيث كان يعاني من إضرابات سياسية واقتصادية تفاقمت خلال أزمة الخليج، وقد كشف أرشيف الأمن القومي الأمريكي في 10 آب 2020 عن 22 وثيقةً تصف الأزمة التي كان يعاني منها الاتحاد السّوفييتيّ خلال تلك الآونة؛ ولذلك جاء الموقف السّوفييتيّ محدوداً وضعيفاً ولا يتناسب مع كونه إحدى القوتين العظميين، واقتصر على الخطابات الداعية إلى حل الأزمة سلمياً ودعوة الجانب العراقي إلى الانسحاب من الكويت، والموافقة على قرارات مجلس الأمن الصادرة خلال الأزمة[1] .

في بداية الحملة البرية في 17 كانون الثاني 1990 أكد نائب وزير الخارجية السّوفييتيّ الكسندر ميلونوجوف Alexander Milonogov حرصَ حكومة بلاده على احتواء الموقف ومحاولة حل الأزمة في الخليج العربي، وفي اليوم التالي أرسل الرئيس السّوفييتيّ غورباتشوف رسالة إلى صدام حسين أكد فيها ضرورة انسحاب القوات العراقيّة من الكويت بهدف حماية العراق. وفي 30 كانون الثاني 1990أعلن الاتحاد السّوفييتيّ وقوفه علناً إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية لحل الأزمة الخليجية، وأصدر الجانبان الأمريكي والسّوفييتيّ بياناً مشتركاً في محاولة منهما لإظهار حسن نواياهما لحل الأزمة سلمياً؛ دعوا فيه إلى وقف إطلاق النار وأكدا حرصهما منع تصاعد الحرب، واحترام العراق الأسرةَ الدوليةَ، وحل القضية على أسس أمنية فاعلة وشاملة تتضمن قضية الصراع العربي– الصهيوني[2] .

[1]– يوسف، كاتيا: أسرار الشراكة الأميركية – السّوفيتيّة... خطط ونقاشات ماقبل حرب التحرير، 2020، شبكة مسار، على الرابط الآتي:

https://www.massar.ca.

[2] – مواقف وردود فعل الاتحاد السوفيتي خلال مرحلة عاصفة الصحراء، على شبكة مقاتل، على الرابط الآتي:
http;// www.muqatel.com

في 9 شباط 1991 كرر غورباتشوف نداءه إلى صدام حسين للانسحاب من الكويت والامتثال لقرارات مجلس الأمن الدولي. ومع بدء العملية البرية عبر الوزير السّوفييتيّ عن أسفه لبدء العملية العسكرية، واقترح خطةً تضمنت موافقة العراق على القرار رقم 660: وهو بدء الانسحاب العراقي من الكويت، على أن تجري عملية الانسحاب خلال 4 أيام، وتتوقف جميع القرارات المتعلقة بشأن الأزمة، وإطلاق سراح أسرى الحرب ومراقبة وقف إطلاق النار واستخدام قوات حفظ سلام من الأمم المتحدة[1].

الخاتمة:

من خلال دراسة العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة بين عامي 1945و1991 يمكن استخلاص عدة نتائج هي:

1–شهدت العلاقات السّوفيتيّة– العراقيّة مراحل مختلفة: علاقات وثيقة أو توتر في العلاقات، بسبب عوامل متعددة منها ماله علاقة بالواقع العراقي، ومنها ماله علاقة بعلاقة القوتين العظميين ببعضهما من جهة، أو بدول المنطقة من جهة أخرى.

2–دور موقع العراق وأهميته الاستراتيجيَّة في تنافس القوتين العظميين ورغبة الاتحاد السّوفييتيّ في إقامة علاقات مع العراق وضمه إلى معسكره. ففي حين شكل العراق أداة رئيسة لمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية في حصر النفوذ السّوفييتيّ وتحييده في منطقة الشرق الأوسط، وتهديد المصالح الأمنية الجوية السّوفييتيّة، حقق التحالف العراقي– السّوفييتيّ أهداف حكومة موسكو في الحصول على موطأ قدم داخل منطقة استراتيجية جغرافياً واقتصادياً مقابلة لإيران ودول الخليج العربي، ومنح السوفييت تأشيرة التدخل العسكري داخل العراق.

[1]– المرجع نفسه.

3–دور التطورات الداخلية في العراق في إقامة العلاقات العراقيّة– السّوفيتيّة وتوثيقها. فعلى الرغم من قوة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السّوفييتيّ ونفوذهما إلا أن الحكومة العراقيّة والتطورات الداخلية هي من حددت الحليف العراقي وليس العكس.

4–الفوائد التي حصل عليها العراق من إقامة علاقات مع الاتحاد السّوفييتيّ، إذ أسهم هذا الأخير في إقامة عدد من المشاريع الاقتصاديَّة، وزوَّدَ العراقَ بأسلحة ومعدات بلغت قيمتها 3 مليارات الدولارات.

5–رغبة كل من العراق والاتحاد السوفيتي توثيق علاقاتهما وتوقيع معاهدة التحالف بسبب ماعادت عليهما من فوائد، حددت الحليفَ الرئيسَ للعراق وأمّنت للاتحاد السّوفييتيّ تغلغلًا داخل العراق ذي الموقع الاستراتيجي على الحافة الغربية من المحيط الهندي. فضلاً عن ربط العراق بالمعسكر الاشتراكي، وتعزيز النفوذ السّوفييتيّ بعد حصوله على موطأ قدم داخل منطقة استراتيجية جغرافياً واقتصادياً مقابلة لإيران ودول الخليج العربي، ومنح السوفييت تأشيرة التدخل العسكري داخل المنطقة. وبالنسبة إلى العراق فقد أمنت المعاهدة مورداً للأسلحة التي يحتاجها، حيث قدم السوفييت دعمهم العسكريّ والدبلوماسي والاقتصادي للعراق، وبالمقابل فقد منح العراقُ الاتحاد السّوفييتيّ موافقة محدودة للاستفادة من منشآته العسكرية والجوية والبحرية.

6–أهمية المنطقة العربية التي يُعدّ العراقُ جزءاً مهمًّا منها من الناحيتين الاستراتيجيَّة والاقتصاديَّة وتجعله دائماً محطّ أنظار الدول الكبرى، وركناً رئيساً في هيكلية السياسة الدولية، وهذا الأمر يدعو دول المنطقة العربية إلى استغلال مقدراتها لمواجهة التحديات التي تواجه المنطقة وحل قضاياها، ولاسيما القضية الفلسطينية التي ستظل دائماً قضية العرب الأولى.

المصادر والمراجع العربية:

1. الأعظمي، وليد محمد: ثورة 14 تموز وعبد الكريم في الوثائق البريطانية، دراسة موثقة معتمدة على الوثائق السرية البريطانية لعام 1958، مكتبة النهضة، بغداد، 1989.
2. ب.ج. فاتكيوس، جمال عبد الناصر وجيله، ترجمة: سيد زهران، تقديم: الياس سحاب، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة الاهرام، 1992.
3. البديوي، عادل: الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية دراسة في المبادئ الجيوبولتيكيا، دار الجنان للنشر والتوزيع.
4. الجفيفي، صدام يوسف عبد: سياسة العراق الخارجية في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف 17 نيسان 1966– 17 تموز 1968، دار الكتاب الثقافي، بغداد، (د.ت).
5. الحديثي، علي سبتي: الحرب الإيرانية– العراقيّة 1980–1988 : ضغوط التاريخ وأوهام العقائد، (د.م)، (د.ت). حسن، حيدر عبد الرضا و محمد، عائدة سامي: << الاعتراف السوفيتي بجمهورية الصين الشعبية وأثره على العلاقات السّوفيتيّة– الصينية1950-1949 >>، مجلة الأبحاث الجغرافية والبيئية، 2015.
6. الدوري، سيف الدين: نوري باشا السعيد 50 عاما على مصرعه وسقوط النظام الملكي في العراق عام 1958، الدار العربية للموسوعات، (د.ت).
7. ديب، كمال: موجز تأريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأميركية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، دار الفارابي، لبنان، ط4، 2013، ص 82.
8. الزبيدي، ليث عبد الحسن: ثورة 14 تموز 1958 في العراق، مكتبة اليقظة العربية، رأس الخيمة، ط2، 2017.

9. الزهـري، زينـب: عبـد الـرحمن عـارف ودوره فـي العـراق 1966–1968، دار الحرية، بغداد، 1990.
10. ضـاحي، كمـال عـواد: العلاقـات العراقيّـة– الأمريكيـة 2003–2011، رسـالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، 2016
11. عامر، ريسان: العلاقات العراقيّة السّوفيتيّة 1963– 1968، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 2010
12. العايدي، أسماء: دور الجزائر في حركة عدم الانحياز من خلال مؤتمر الجزائر عام 1973 انموذجاً. رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، 2015.
13. عبد الأمير، عبد الله: الاتحاد السّوفييتيّ والعراق السعي السّوفييتيّ من أجل النفوذ، مركز الدراسات والتخطيط، 2016، على الرابط الآتي:
14. HTTP;// Www. Bayancenter. Org
15. عبد الله، ريسان : الموقف السّوفييتيّ من ثورة 1958، ملاحق جريدة المدى اليومية، 2013، على الرابط الآتي:
16. http;// www. Almada supplements. Net
17. عدوان، راكان: مكانة العراق الإقليمية في ظل التَّنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط، مجلة تكريت للدراسات السياسية، 2019.
18. العكيدي، بشـار فتحـي جاسم: ثـورة 14 تمـوز 1958 فـي العـراق ودورهـا فـي تغييـر الاسـتراتيجيَّة الأمريكيـة ، مركـز الدراسـات الإقليميـة، جامعـة الموصـل، 2009.

19. عماري، فيصل: التحالفات الدولية خلال الحرب الباردة –حلف بغداد – أنموذجاً، جامعة محمد بومضياف، الجزائر، 2016.
20. فوزي: احمد، عبد السلام عارف أول رئيس للجمهورية العراقية حياته ومصرعه، دار دجلة للنشر، بغداد، (د.ت).
21. مواقف وردود فعل الاتحاد السوفيتي خلال مرحلة عاصفة الصحراء، على شبكة مقاتل، على الرابط الآتي:
22. http;// www.muqatel.com
23. محمد، السعيد إدريس : مبادرة بريجنيف الخليجية والصراع الدولي مجلة السياسة الدولية، العدد 64، 1981.
24. محمود، فارس: الأهمية الاستراتيجيَّة للخليج العربي في الحرب الباردة، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2009.https://www.massar.ca
25. .الموسوعة العربية .http;//www.arab-ency.com
26.يوسف، كاتيا: أسرار الشراكة الأميركية – السّوفيتيّة... خطط ونقاشات ماقبل حرب التحرير، 2020، شبكة مسار، على الرابط الآتي:
https://www.massar.ca

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. J.A, Kechichinan: Baghdad Pact Comments add Comment, 1988, sit of; http; // www. Iranicaonlin. Org.
2. KURUCSAI developments of soviet- Iraq relation oscitations' are, foreign minister Budapest, Wilson center digital archive, international history, no. 41/is/81/, march, 1981.
3. METZ, Helen Chapin: Iraq country study, gpo for the library of congress, Washington, 1988.
4. preliminary analysis of Iraqi-Ussr treaty, memorandum from the executive secretary if the state (Eliot) to the president's assistant for national security affairs (Kissinger), foreign relations of the united states, 1969-1972, vol e-4, documents on Iran and Iraq 1969-1972, department of states, April, 1972.
5. SHEMESH, Haim: soviet Iraqi relation, 1968- 1988 in the shadow of Iraq – Iran conflict, 1992.
6. UN Security Council Resolution 598, Iran / Iraq , Published July 20, 1987, SIT OF: http://www.cfr.org.
7. the Baghdad pact (1955) and the central treaty organization (CENTO), U.S.A department of states, sit of; http;// 2001-2009. State.gov.